

مجلة الجامعة الأسمرية: العلوم الشرعية والإنسانية
المجلد (31) العدد الأول (يونيو 2018)

المنهج العقلي عند ابن حزم الأندلسي

د. نور الدين عاشور الدوكالي
كلية الآداب – الجامعة الأسمرية الإسلامية

n.aldokali@asmarya.edu.ly

المقدمة:

إن الحمد لله ﷻ رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آل بيته وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً نفتتح حديثنا استفتاحاً باسمه، واسترشاداً بنوره، وهديه، وبعد ،،،

بادي ذي بدء نقول: إن المنهج العقلي من المناهج الإسلامية، وهو من الأساليب القوية للدفاع عن الحق وكشف اللثام عن الباطل، وله دور رائد في الرد على أهل الكتاب، ولقد سلك الإمام ابن حزم هذا المنهج، واستخدمه للوصول إلى حقيقة الرسالات الإلهية فيبين لنا مدى قدرة الإنسان الذي يتمسك بعقيدة ما في الذود عنها، وإماطة الشبهات، والافتراءات عنها، كما يُعد المنهج العقلي من الأساليب الحكيمة والبليغة التي استعملها القرآن الكريم في إقامة الأدلة على وحدانية الله ﷻ وعلى صدق الرسل الكرام عليهم السلام فيما يبلغون عن خالقهم، لقد احتكم ابن حزم للمنهج العقلي في بيان الحق الذي يطمئن إليه القلب، ويشهد له العقل، حيث قام بالرد على أصحاب الأديان بهذا المنهج، وَعَدَّه الطريق الواضح الذي سلكه في الدفاع عن عقيدة الإسلام وكشف اللثام عن الشبهات التي يحيكها أهل الكتاب على هذه العقيدة، وعليه يُعد المنهج العقلي محاولة جادة من ابن حزم لعرض العقائد الدينية وخصوصًا عقائد أهل الكتاب التي يعترف بها العقل في حدود إمكانياته وبيان الجانب الموضوعي لهذا المنهج وقيمته العلمية حتى يحتكم إليه الجميع عند الاختلاف، ويمتاز المنهج العقلي في القرآن الكريم باتساع دائرته ووضوح قضاياه وشموله لما يحصي من المسائل،

وهو من الأساليب التي استعملها الرسول ﷺ ولذلك كان لهذا المنهج الناجح الأثر العظيم في الدفاع عن الإسلام.

مشكلة الدراسة: إن واقعنا الحاضر يحتم علينا إنصاف الدين الإسلامي مما يحاك له من قبل أصحاب الديانات الأخرى، ولا يتأتى لنا ذلك إلا بالتركيز على هذا النوع من الدراسات في هذا الوقت لطبيعة المواجهات والتحديات التي يتعرض لها الإسلام اليوم، وإن هذا النوع من الدراسة يمكننا من امتلاك أسلحة العقل، وطرق الاستدلال، وشروط البرهان لدحض هذه الافتراءات، وتوضيح حقيقة الديانات من حيث الصحة والفساد، وما حافظ منها على أصوله.

أهمية الدراسة: سنهتم في هذا البحث بمحاولة تقديم آراء ابن حزم، وإبراز إسهاماته في مجال الدفاع عن الإسلام، كما أن لمنهجه أهمية كبيرة في التاريخ الإسلامي حيث يُعد المنهج هو المحور الأساسي الذي يدور حوله هذا البحث، فضلًا عن أن الإمام ابن حزم يمتاز بعقلية منطقية مرتبة تحسن تقديم المقدمات، وإنتاج النتائج، كما أن التركيز على هذا النوع من البحوث مهم جدًا لطبيعة المواجهات والتحديات التي يتعرض لها الإسلام فيما هوجم به من قبل أصحاب الديانات الأخرى، ولرد افترائهم، كما تكمن أهمية البحث في فهم طبيعة وأصول هذه الديانات وفي متابعة تطور جهود المنكرين في هذا المجال.

واما أهداف الدراسة فهي: إبراز عرض علمي للموضوع إسهامًا منا في إثراء المكتبة العربية بدراسة أكاديمية مستقلة، في الفلسفة، والتركيز على مدى ريادة ابن حزم في عرض الآراء والأفكار الفلسفية، وبغية التعرف على منهجه، والكشف عن جانب مهم من جوانب حضارة المسلمين في الأندلس، وتفاعلهم الفكري والعقدي مع أصحاب الديانات السماوية.

أسباب اختيار الموضوع: نظرًا لأهمية فكر ابن حزم في تاريخ الفكر الإسلامي، فقد دفعنا ذلك إلى اختيار هذا الموضوع، محاولة التركيز على الجانب المنهجي عند ابن حزم وانتهاج نهجه في الرد على أصحاب الملل وردع افتراءاتهم، وتسليط الضوء على هذا النوع من الدراسات لإثراء المكتبات العربية، والتعريف بالمنهج العقلي للرد على ما يحاك ضد الإسلام.

المنهج المتبع في الدراسة: إن طبيعة الموضوع تتطلب منا استخدام المنهج التحليلي المقارن المدعم بالدراسات المقارنة، بالإضافة إلى ذلك تم الاستعانة بالمنهج التاريخي الذي يؤدي إلى تحري الدقة العلمية في عرض الآراء،

والخوض في جزئياتها، وتحليل ما تشمله من آراء ومواقف، وذلك بالاعتماد على المصادر الأصلية ما أمكن، بُغية تقديم بحث أكاديمي.

تساؤلات الدراسة: ما الذي جعل ابن حزم يتخذ المنهج العقلي للدفاع عن الدين؟، ما هي غاية المنهج العقلي عند ابن حزم؟، وما قدر الأمانة في المنهج العقلي عنده؟، وما هي السمة البارزة على أسلوب ابن حزم؟، وما هي الأسس والقواعد التي قام عليها هذا المنهج؟، وما حد العقل عنده؟.

هيكل البحث: ويتكون هذا البحث من مقدمة وأربعة مباحث، وخاتمة وآخره قائمة بالمصادر والمراجع.

المبحث الأول: المقصود بالمنهج العقلي، وأهميته.

المبحث الثاني: حدود وقوانين المنهج العقلي.

المبحث الثالث: أسس المنهج العقلي عند ابن حزم.

المبحث الرابع: ابن حزم واستخدامه للمنهج العقلي في كتاب الفَصْل.

المبحث الأول: المقصود بالمنهج العقلي، وأهميته.

لقد جاء الإسلام يكرم العقل، ويحثه على القيام بدوره في النظر والاستدلال، ويُبعد الإنسان عن التقليد الأعمى بغير بيّنةٍ ولا برهان، ولذلك سلك ابن حزم هذا المنهج القيم، كما أنه لا نستطيع التعرف على المنهج العقلي إلا بالوقوف على مدلول العقل ومعناه في اللغة والاصطلاح، وبذلك نصل إلى تحديد المقصود بالمنهج العقلي الذي يسير فيه العقل، فيفكر ويستدل بناءً على قواعده، فللعقل الإنساني منهج يقوم عليه فكره، وحركته، وعليه فالعقل سر وضعه الله ﷻ في الإنسان ليعرف نفسه، كما يعرف ربه، ويضع به حدًا فاصلًا بين الخطأ والصواب.

المعنى اللغوي للعقل: إن العقل شيء غيبي داخل الإنسان لا يرى، ولا يلمس، وفي الوقت نفسه لا يستطيع الإنسان أن ينكر وجوده، وتعريفه هو تقريب معناه، ولقد ورد في اللغة العربية عدة تعريفات للعقل منها: «إن العقل هو الحِجْر، والنهي، ورجل عاقل، وعقول، وقد عقل من باب ضرب، ومعقول أيضاً، وهو مصدر، ويقول سيبويه عن العقل بأنه: صفة» [1].

(1) الرازي، مختار الصحاح، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، سنة1990م، ص190م.

وفي مختار القاموس العقل هو: «العلم بصفات الأشياء من حسنها، وقبحها، وكمالها، ونقصانها، والحق أنه نور روحاني، به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية[1]».

وفي لسان العرب يتضح لنا معنى كلمة عقل بشكل أوضح : «عقل الشيء: فهمه، فهو عقول، وعقل البعير: شده إلى ذراعه، كما يمنع العقال الناقة عن الشرود، ورجل عاقل: وهو الجامع لأمره ورأيه، ومأخوذ من عقلتُ الشيءَ إذا جمعتُ قوامَه، والعاقل هو الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، وقيل العقل: "هو التمييز الذي تميز به الإنسان عن سائر الحيوانات» [2].

أما المعنى الاصطلاحي للعقل: فقد جاء في المعجم الفلسفي على النحو التالي:

1- تعريف العقل بوجه عام: هو ما يميز به الحق من الباطل والصواب من الخطأ.
2- قد يطلق ويراد به أسمى صور العمليات الذهنية عامة والبرهنة والاستدلال خاصة.
3- وقد يطلق ويراد به أيضًا المبادي اليقينية التي يلتقي عندها العقلاء جميعًا، وهي ما يسمونه بقوانين الفكر(مبدأ الهوية- مبدأ عدم التناقض- مبدأ العلية) [*].
4- وقد يطلق ويراد بهذا اللفظ الأجنبي أيضًا ما يساوي السبب ومنه الأسباب الكافية عند ليبنتز[3].

إذاً كان للعقل تعريفات كثيرة جدًا، وأيضًا استعمالات في اللغة، ولكن كيف استخدم ابن حزم العقل وفي أي منهج؟، وهل هو المنهج العلمي؟ أم المنهج الإسلامي؟ أم المنهج الأخلاقي، أم في الرد على أهل الأديان؟.

لقد استخدم ابن حزم العقل في الأوامر والنواهي، وهي طاعات لله ﷻ وكذلك يستخدم العقل في الأخلاق الكريمة التي يُعبَّر عنها بالفضائل الأخلاقية: حيث يقول عن العقل: «العقل هو استعمال الطاعات والفضائل، وهو غير التمييز فكل عاقل هو مميز، وليس كل مميز عاقلاً... [4]»، ويتبين لنا من خلال

---

(1) الطاهر الزاوي، مختار القاموس، دار الحديث، بيروت لبنان، ط1، سنة2000م، ص431.
(2) ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2، سنة 1992ف، 458/11-459.
(*) سيتم توضيح هذه المصطلحات المنطقية الفلسفية في مكانها من البحث.
(3) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة المطابع، مصر القاهرة، ط1، سنة1979م، ص120.
(4) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق الدكتور/ محمد حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط1، سنة2005ف.65/1.

تعريف ابن حزم أنه استخدم العقل في المنهج الأخلاقي لكي يميز بين الفضائل والرذائل.

ومن أهم فوائد العقل وموضوعاته استخدام العقل، فنجد أنه يربط بين الأفكار بعضها بعضًا لكي تتم الوحدة العضوية للأفكار، ويجعلها مترابطة ومتسلسلة ومنظمة، ويعبر أيضاً عن النزعة الأخلاقية لذلك يُعد ابن حزم العقل: «ملكة الربط بين الأفكار، وفقاً لمبادئ كلية، وهو ملكة يُناط بها الوازع الأخلاقي أو المنع عن المحظور والمنكر، وهو ملكة الإدراك التي يناط بها الفهم والتصور... [1]»، ويذكر الدكتور جميل صليبا في معجمه بياناً أوسع لمفهوم العقل في الاصطلاح فيذكر من تعريفات العقل عند الفلاسفة التعريفات التالية: «قوة الإصابة في الحكم، أي تمييز الحق من الباطل، والخير من الشر، والحسن من القبح ومنها: مجموع المبادئ القبلية المنظمة للمعرفة كمبدأ عدم التناقض، ومبدأ السببية، ومبدأ الغائية وتتميز هذه المبادي بضرورتها، وكليتها واستقلالها عن التجربة[2]»، وهذه التعريفات تُعد متكاملة وإن كانت متنوعة، ونحْن لا نرجح تعريفًا منها على آخر، وإنما نختار من بينها التعريف الأخير، وهو: مجموعة المبادئ القبلية المنظمة للمعرفة، كمبدأ عدم التناقض ومبدأ السببية، ومبدأ الغائية، وتتميز المبادئ بضرورتها، وكليتها، واستقلالها عن التجربة.

ويتضح لنا أن هذا التعريف يضم في ثناياه القوانين التي تحكم العقل البشري، وإذا كان هذا هو مفهوم العقل الاصطلاحي، فما هو مفهوم المنهج عند ابن حزم؟

إن المراد بالمنهج العقلي: هو التأمل في الطريقة التي حصلت بها المعرفة العلمية، وتحديد القواعد والقوانين التي سار عليها ثم تعميم هذه القواعد كمنهج للبحث في المستقبل، فالمنهج العقلي منهج يولد العلم باستحالة المستحيلات، وامكانية الجائزات، ووجوب الواجبات، حيث ينتقل الباحث من بديهيات[*] ومقدمات أولية إلى نتائج تستلزمها بالضرورة دون حاجة إلى التجربة، وإنما يعتمد المنهج العقلي على الاستنباط، ويسمى المنهج العقلي بالمنهج الاستنباطي.

(1) عباس القعاد، التفكير فريضة إسلامية، دار نهضة مصر، مصر القاهرة، ط1، سنة 2001م، ص4.

(2) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، ط1، سنة1994م، 85/2-86-87.

(*) البديهيات: جمع بديهية وهي قضية أولية صادقة بذاتها يجزم بها العقل من دون برهان، كقولنا الكل أعظم من الجزء، والأشياء المساوية لشيء متساوٍ تكون متساوية، وهي أساس العلم، والبديهيات في الرياضيات هي مبادي أولية صادقة بذاتها مشتركة بين كل العلوم الرياضية. جميل صليبا/ المعجم الفلسفي، 202/1.

أهمية المنهج العقلي: يُعد العقل غريزة إلهية عند الناس جميعًا، وهي تشمل جميع بني البشر، ويجدون به الجواب الشافي، فلذلك يجب تحريكه نحو ما يعتقد به في قلبه وما يلتزم به في سلوكه، فإن ذلك طبقًا لما يؤمن به، ويعتقد فيه، من هنا كان للمنهج العقلي أهمية كبرى في حياة الإنسان ليميز به الحق من الباطل فبالمنهج العقلي تحصل للإنسان الموازنة العقلية لمضمون العقيدة التي يؤمن بها، فيرى ما فيها ويدرك ما تأثرت به.

ومن خلال هذه الموازنة العقلية نحصل على كشف ما لا يستسيغه بعقله وما لا يقبله بذوقه، وبالمنهج العقلي يأخذ الباحث بأيدي المدركين إلى الحق ويوجه أنظارهم إلى الحقائق المشهورة، المألوفة التي يخرّ المجادل أمامها صاغرًا، فهو مسلك المواجهة للخصوم، كما إنه يمكن استخدام المنهج العقلي في الحوار، والرد على أهل الكتاب وغيرهم من أهل الأديان بعيدًا عن الإكراه، والإخضاع القهري، إن المنهج العقلي هو منهج القرآن الكريم الذي دعا الإنسان في كثير من آياته إلى النظر في ملكوت السموات والأرض، والاحتكام إلى العقل في كثير من القضايا، فالعقل هو الذي يميز الإنسان عن الحيوان لذلك نعى القرآن البعِيدِين عن العقل، والمنطق، ووصفهم بأنهم أضل من الأنعام فإنهم صمٌ، بكمٌ، عُميٌ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ [1] و﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [2].

*** علاقة العقل في البرهنة على وجود الله:** لقد استدل العقل البشري عن طريق التأمل الفطري على وجود الله، اتباعاً لقوله عز وجل ﴿﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[3].

ويخاطب الله الإنسان في كثير من آياته بالمنطق السليم، ويقدم له الدليل، والبرهان العقلي على القضايا اتباعًا لقوله ﷻ: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [4]، كما يندد القرآن بالتقليد الأعمى والسير، وراء ما ورثه الأبناء عن الآباء والأجداد دون تفكير إرادي،

---

(1) سورة الأعراف، الآية179.
(2) سورة البقرة، الآية18.
(3) سورة العنكبوت، الآية61.
(4) سورة الواقعة، الآية57-58-59.

حيث يقول: ﷻ﴿ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ (1).

ومن خلال هذه الفقرة نلاحظ أهميه العقل المتمثلة في الإبداع والابتكار في كثير من العلوم بصفة عامة، ثم بعد ذلك نجد أهميته الكبرى في معرفة مخلوقات الله ﷻ للدلالة على صنعته وإبداعه في ملكوت السموات والأرض، حيث يقول الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (2).

كما تظهر أهمية المنهج العقلي ودوره في سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة ونجاته من العذاب، حيث إن طريق العقل واستفادة الإنسان من حواسه، تبين لنا من أهمية عمل العقل وعمل الحواس في قول الكفار أثناء العذاب في الآخرة: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (3).

وبناءً على ذلك فإن الله قد هيأ للإنسان أمرين ليساعداه على الاستدلال لمعرفته هما: **أولهما:** العقل الذي فُطر الإنسان عليه، ليدبر به شواهد التدبير وأحكام التقدير(4). **ثانيهما:** إن مصدر معرفة الله ﷻ هو كتابهُ ورسوله، حيث إن إرسال الله ﷻ للرسل **عليهم السلام** ليخاطبوا الناس، وينبهوهم على النظر في الآيات الظاهرة والدلائل والمعجزات البينة، وذلك يساعد على معرفة الله ﷻ. ونفهم من خلال ذلك أن العقل يُعد مصدر هداية للإنسان، والوحي أيضاً مصدر هداية، ولا يوجد اختلاف بين استخدام العقل وتطبيق رسالة الوحي، العقل هو في إثبات الشرع، وبالإضافة إلى ذلك فإن العقل ميزان صحيح، أحكامه يقينية، لا كذب فيها، وذلك في مجاله، ومنزلته من الشرع، حيث إن هناك أمورًا « تُعلم بالعقل والشرع معاً، حيث إن كل ما هو واقع في

(1) سورة البقرة، الآية170.
(2) سورة آل عمران، الآية191.
(3) سورة الملك، الآية10.
(4) الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، دار قتيبة، بيروت لبنان، ط1، سنة2003م، ص140.

مجال العقل كرؤية الله ﷻ، يأتي العقل ليؤكد هذا الحكم ويثبت ما ورد بالشرع[1]».

ومن هنا فالوحي لا يناقض العقل، وإنما جاء الوحي لكي يقوّم العقل ويرشده إلى اليقين، بالإضافة إلى ذلك فإن من خصائص العقل أنه يتأمل فيما يدركه، ويقبله على وجوهه ويستخرج منه بواطنه، وأسراره، ويبني عليها نتائجه وأحكامه، وهذه الخصائص في جملتها تجمعها ملكة «الحكم وتتصل كذلك بالعقل الوازع إذا انتهت حكمة الحكيم به إلى العلم بما يحسن ويقبح، وما ينبغي له أن يطلبه وما ينبغي له أن يأباه[2]».

وبالإضافة إلى ذلك يقوم المنهج العقلي على احترام العقل، وقبول أحكامه التي يصدرها عن الأشياء نفياً وإثباتاً، وجوداً وعدماً، بحيث إن العقل السليم إذا أصدر حكماً على شيء ما من الأشياء المحسوسة أو المعقولة فإن حكمه لا ينتقض أبداً بخلاف حكم غيره، أما عن طريقة الحواس، أو العادات، أو الاستقراء فإنه كثيراً ما ينتقض، وهنا تُعد نظرية الحواس الخمس التي يديرها ويحكمها العقل الإنساني الذي يسيطر على الحواس لكي تصبح مفيدة للإنسان في حياته اليومية نظريه ظنية وليست يقينية.

أما المعجزات الخارقة3[*] فتعد هي الوضع اللائق بعد أن بلغت الإنسانية مرحلة الرشد والتحرر، وقيام العقل بالنظر في أصول العقائد الإلهية التي تؤكد وحدة العقيدة، في كافة الرسالات السماوية، فالمنهج العقلي يقوم على دعائمه العقدية، حيث إن: «جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام كانت آيات صدقهم قهرًا ماديًا لا يستطيع أحد معه إلا أن يجيب أو يهلك، أما الذي أوتيه خاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ فهو المنهج العقلي الخالد الذي لا يعرف الإكراه والقهر المادي، ولا يغلب فيه العقل على نفسه، ولا يوجد سلطان عام في الرسالة فوق سلطانه»[4].

---

(1) الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص152..

(2) عباس العقاد، التفكير فريضة إسلامية، مرجع سابق، ص4.

(*) المعجزة الخارقة: هي خوارق للعادات من قِبَل الفاعل وهي راجعة في الحقيقة إلى علمه تعالى وإرادته، وهي أمور خارقة للعادة تحصل للأنبياء عليهم السلام لإثبات نبوتهم، حيث يجوز انقلاب الجبل ذهباً، ويجوز انقلاب مياه النهر دماً، ويجوز حدوث الحي من اللاحي، ويجوز حدوث الإنسان من غير أبوين، كمعجزات سيدنا صالح وموسى وعيسى عليهم السلام ، وسيدنا محمد ﷺ، راجع/ فخر الدين الرازي، النبوة وما يتعلق بها، ت/ أحمد حجازي السقا، دار ابن زيدون، بيروت لبنان، ط1، سنة 1986م.

(4) محمد الصادق عرجون، القرآن الكريم هداية وإعجاز، دار مكتبة الكليات الجامعية، ط1، القاهرة مصر، سنة1966م، ص35، ص171.

وعليه فلقد بلور الإسلام الاستدلال العقلي، بناءً على دلالات المنطق في الاستنباط والتأمل الفطري لظواهر الوجود المتعددة، وصولاً إلى الحقائق« كدلالة المصنوع على الصانع، وإن البعرة تدل على البعير، والأقدام على المسير، فكل هذا يؤدي إلى أن الأسباب تؤدي إلى النتائج»[1].

وبالتالي فإنه في استطاعة العقل المقارنة بين الخالق والمخلوق، ويمكنه أيضًا أن يعرف أن المساواة بينهما شيء مستحيل، وبذلك تتضح لنا أهمية المنهج العقلي في أنه يفرق بين قدرة الخالق وقدرة المخلوق.

كما أن أهمية هذا المنهج تتضح أيضًا حينما نناقش الأمور الأخلاقية، وعند الرد على أهل الملل والأهواء وأهل الكتاب، ونجد اختلاف أمزجة الناس في الوصول إلى الحق فإن الحكمة في الحوار هي الطريق الصحيح، وهي وضع الشيء في موضعه حيث: «إن طبائع الناس متفاوتة، ومشاربهم متباينة، وأهواءهم متضاربة، ومسالكهم في طلب الحق مختلفة فمنهم من يصدق بالبرهان، ولا يرضيه إلا قياس تام، أو ما يجري مجراه ويسير في طريقه، وهؤلاء هم من غلبت عليهم الدراسات العقلية والنزعات الفلسفية، وكان لهم من أوقاتهم ما أزجوه في دراسات واسعة النطاق، وعلوم سيطرت عليهم، فسادهم التأمل الفلسفي والمنزع العلمي.... [2]».

لذلك نجد أن الحوار القائم على المنهج العقلي يُعد حوارًا بناءً، فهو من المكانة بحيث إن أهمية المنهج العقلي تكمن في أنه يعطي الإنسان القدرة على التمييز بين الحسن والأحسن، وبين الفهم وعدمه، ومن أهمية هذا المنهج أيضًا أن القرآن نعى كل من يعطل نعمة العقل والحواس، ووصفهم بأنهم كالأنعام، وامتثالًا لقوله ﷻ : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [3]. ومن أهمية المنهج العقلي أنه يعطي الإنسان القدرة على التمييز بين الحسن والأحسن، امتثالًا لقوله ﷻ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [4].

(1) الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص35-36.
(2) محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، مصر، سنة2003م، ص49-50.
(3) سورة الأعراف، الآية179.
(4) سورة الزمر، الآية18.

كما أن العقل وحده لا يستقل بالمعرفة الإلهية، لأن من يكتفي بالعقل عن أنوار القرآن والسنة هو مغرور مخدوع، يقول الإمام الغزالي: «فالداعي إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية فهو جاهل، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور، فإياك أن تكون من أحد الفريقين، وكن جامعًا بين الأصلين، فإن العلوم العقلية كالأغذية، والعلوم الشرعية كالأدوية»[1].

ويشبه الغزالي هنا العقل بالبصر السليم عن الآفات، والقرآن بالشمس المنتشرة في الآفاق والمستغني بأحدهما عن الآخر فهو من الجُهال الأغبياء، حيث يقول: «فالمعرض عن العقل مكتفيًا بنور القرآن، مثاله المتعرض لنور الشمس مغمض الأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان، فالعقل مع الشرع نور على نور»(2)، وعليه يُعد المنهج العقلي بقواعده الرصينة وضوابطه الحكيمة من أعظم الوسائل للوصول إلى الحق، وطريق السعادة في الحياة الدنيا والآخرة، حيث أعطى الله العقل لجميع البشر ليصلوا به إلى ما فيه الخير لهم، فالقرآن يعلم الرسول ﷺ أن يقول للمشركين: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ (3)، ففي هذه دعوة إلى استخدام العقل والفكر في قضية الوحي والرسالة، كما أن المنهج العقلي له فائدة عظيمة، وأثر كبير للإنسان، حيث منح الله ﷻ الإنسان هذا الجهاز العقلي، وجعله مسؤولاً عن التفكر في الأدلة الموصلة إلى الحقائق التي تكشف له طريقي الخير والشر في الحياة الدنيا والحياة الآخرة، ومسؤولاً عن عقل النفس عن الانزلاق وراء أهوائها وشهواتها ونزعاتها التي تتجه به إلى ما فيه شره أو ضره أو هلاكه في عاجل أمره وآجله[4].

وبناءً على ذلك يُعد المنهج العقلي منهجًا علميًا يحترمه العقل والعقلاء، ويعترف بقواعده كل إنسان حر في إرادته واختياره وإثبات رأيه، وعن طريق هذا المنهج يمكن للإنسان أن يفكر ويتدبر، ويفاضل بين العقائد المتضاربة، ويكشف ما لحق بالدين من تحريف وتغيير، فهو أمر جائز عقلًا، ونظرًا لأهمية المنهج العقلي نجد أن القرآن الكريم يدعو إلى تحكيمه ونبذ التقليد، إذ إن الإنسان مولع بما أخذه عن أبويه أو عن معلميه، وهذا مما جعل القرآن يندد بهذا التقليد

(1) الغزالي، إحياء علوم الدين دار محمد بيضون، بيروت لبنان، ط1، سنة2001م، 16/4.
(2) جميل صليبيا، تاريخ الفلسفة العربية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت لبنان، ط3، سنة1995م، ص353.
(3) سورة سبأ، الآية46.
(4) عبد الرحمن حسن حبنكة، ضوابط المعرفة واصول الاستدلال والمناظرة، دار دمشق، دمشق سوريا، ط4، سنة1993م، ص11.

الأعمى دون النظر والتفكير الإرادي للإنسان، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (1).

والتقليد يولد الجمود، والتبعية ويلغي الاختيار الشخصي، وعدم التقليد يفيد تحرير الإرادة وإثبات الرأي عن طريق الاختيار الشخصي البعيد عن الإكراه، والعقل بدوره إذا ما تحرر من الهوى والشهوات والانسياق وراء الطمع قادر على التفكير الصحيح، ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةًۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (2).

إن العقل ذو أهمية كبيرة للإنسان، ويُعد إلغاء الإنسان لعقله ـ بمعنى أن يفكر بعقل غيره فيقلد ويسلم نفسه له- نوعًا من الخمول العقلي؛ وذلك بدوره يجعل الإنسان يفقد شخصيته، فمن الناس من يقلد سلفه وآباءه، ومنهم من يقلد كبراءه وزعماءه، ومنهم من يقلد معلميه، كل هؤلاء حمل عليهم القرآن، وبين حال الزعماء ومقلديهم ومصيرهم يوم القيامة، ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (3)، فعملية تعطيل العقل ينتج عنها الخلود في النار، وبسبب غفلة الفكر، وتعطيل العقل والجري وراء الشهوات الإنسانية تكون نهايته أن يكون حطبًا لجنهم، ووقودًا للنار، ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ

(1) سورة البقرة، الآية،170.
(2) سورة لقمان الآية،20-21.
(3) سورة البقرة الآية،166-167.

لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾ [1].

وبذلك يتبين لنا بوضوح فائدة المنهج العقلي، وأهميته في الحوار، وضرورة استخدامه في الوصول إلى الحق والصواب قبل فوات الأوان، ولكن ما هي الأسس التي يرتكز عليها المنهج العقلي؟

- الحدود والقوانين التي يرتكز عليها المنهج العقلي: إن للمنهج العقلي أهمية قصوى، حيث كان عليه التعويل في أهم القضايا التي تهم الإنسانية، والذي يجب أن نعرفه عن المنهج العقلي هو الحدود والقوانين التي يقوم عليها.

إن المنهج العقلي يقوم على ركيزتين هما:

5- حدود المنهج العقلي.
6- قوانين المنهج العقلي.

ومن هنا ينبغي علينا معرفة حدود هذا المنهج ومجالاته، فهو محدود عن الوصول إلى المعرفة الكاملة فيما غاب عنه؛ لأنه محدود الطاقات والملكات، ولذلك يُعد الوحي هو الذي يلبي حاجات الإنسان ويشبع العقل البشري مكملًا لما غاب عن العقل.

وانطلاقًا من ذلك ينبغي علينا أيضًا معرفة القوانين التي تحكم المنهج العقلي، حتى لا يدعي كل إنسان أنه على حق، فالفكر الذي يلتزم بهذه القوانين يُعد فكرًا يقوم على الوهم والخيال والظن، حيث إن هذه القوانين تمنع المنهج العقلي من الوقوع في الخطأ، وتمنحه اليقين في الحكم حتى يصل إلى الصواب وإلى الحقيقة في مجالاته الخاصة به، كما أن أهم قوانين هذا المنهج تقوم على أساس بديهيات عقلية وبراهين منطقية، وحقائق العلوم التي يحترمها كل إنسان في أي مكان، وأي زمان على اختلاف الملل والنحل.

أولاً: حدود المنهج العقلي: إن العقل جهاز عظيم منحه الله ﷻ للإنسان ليميز به بين الخير والشر، وذلك في ضوء الإمكانيات التي منحها الله ﷻ لهذا العقل والأدوات التي زوده بها كوسائل الحس المباشرة الظاهرية والباطنية في عالم المشاهدة.

(1) سورة الأعراف، الآية، 179.

ومن ناحية أخرى يُعد العقل محجوبًا عن الغيب، ولهذا لا يستطيع أن يحكم إلا على سبيل الخيال في الأمور الغيبية، وغاية ما يمكن أن نقوله إنه: «لا يمكن أن يكون وراء العقل أشياء يحكم العقل حكمًا قاطعًا باستحالتها، فهناك فرق كبير بين ما لا يدركه العقل فهو لا يتناوله بنفي ولا بإثبات؛ لأنه ليس من الأمور التي يتناولها بأحكامه، وبين ما يحكم العقل بنفيه أو بإثباته»[1].

وهكذا فالعقل يعمل ويفكر ويستدل في حدود، أما إذا انتهت هذه الحدود، فإنه في هذه الحالة يعلن عدم استطاعته، وعجزه، حيث إن حدود العقل ومجاله في الأمور الظاهرة فقط، وأما الأمور الغيبية أو ما وراء الطبيعة فهي ليست في إطار حدوده ومجالاته، ومن ناحية أخرى فإن دور العقل هو مجاله الذي يختص به، والذي ليس من تخصصه البحث في الغيبيات أو عالم الغيب، حيث يقول ﷻ: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴾[2].

كما أن حكم العقل في قضايا ما وراء الطبيعة-الميتافيزيقا- يُعد من قِبل الأمور الغيبية، أو الخيال، والوهم والظن، من غير دليل، وبالتالي فإن العقل ليس في استطاعته الحكم على الأشياء الغيبية بالإثبات أو النفي إلا في ضمن أحكامه الذاتية وهي: قانون الامتناع، وقانون التناقض وبين أحكام العقل وهي: واجب الوجود، وواجب العدم، وممكن الوجود، وما يتوقف وجوده على علم أو سبب، وقانون وجود الحادث على سبب من غيره سابق عليه في الوجود، وقانون قابلية العدد للتسلسل إلى ما لا نهاية له جانب الوجود الأول، ثم ما يفترضه من تخيلات تركيبية لا حصر لها، وهكذا نصل إلى أن حدود العقل ومجاله الذي يمارس فيه نشاطه يقوم على أساس مواد المعرفة المتاحة له، وعن طريق الحواس الظاهرة والباطنة، ويضاف لها الأمور البديهية الموجودة في عقل الإنسان أو فطرته.

ونستنتج من خلال ما سبق أن حدود المنهج العقلي تقوم على كل ما يصل إلى مداركه بالإضافة إلى كل ما يوحي به الله ﷻ إلى أنبيائه **عليهم السلام** أما فيما يخص مجال العقل فإن مجاله هو العالم المادي، أما عالم الغيبيات، فلا مكان له

(1) عبد الرحمن حسن حبنكة، ضوابط المعرفة، مرجع سابق، ص131.
(2) سورة الجن، الآية، 26-27.

في العقل؛ لأن حدوده تقف عند الطبيعة، ولأن العقل عاجز عن إدراك ما وراء الطبيعة ظاهرة أو باطنة.

وعلى ذلك فإن دور العقل في الأمور الغيبية هو التسليم بعدم استطاعته إدراكها، لأن العقل قاصر في الأمور الغيبية، ودور العقل هنا هو تسليم الأمور الغيبية إلى مصدر آخر أعلم منه بها، وهذا بدوره يُعد صيانة للعقل ورحمة له في تكليفه بما يستطيع إدراكه، حيث يقول رسول الله ﷺ : «**لا يزال الناس يتساءلون هذا خلق الله فمن خلق الله؟ فمن وجد شيئاً من ذلك فليقل آمنت بالله ورسله**[1]».

ثانياً: قوانين المنهج العقلي: وبعد أن عرفنا فيما سبق حدود المنهج العقلي ومجالاته، نهتم هنا بقوانين المنهج العقلي، بيد أن أهمية المنهج العقلي مرتبطة بأن تتحقق قوانينه وقواعده، وعن طريق هذا المنهج نستطيع أن نقوّم به الاتجاهات القديمة والحديثة، ضعيفها وفاسدها.

وهذه القوانين هي التي تضبط المنهج العقلي، وتمنعه من الوقوع في الخطأ، أو الدخول في ضرب آخر من التفكير لا يحترم قوانين العقل ولا يتفق مع قوانين ومبادئ الفكر، وهذه القوانين التي أجمع عليها العُقلاء تُعد خير وسيلة لوضع حد للتنازع الفكري، وهذه القوانين هي:

1- **قانون الذاتية:** وهو يُعد أول قوانين الفكر وأهمها، حيث ينص هذا القانون على أن «يكون الشيء هو ذاته، أو هو إثبات الشيء وتأكيده[2]».

كما أن المعني المباشر لهذه العبارة هو: «أن يظل المعنى المعين من المعاني ثابتًا خلال بحث معين[3]»، ويقول الأستاذ سعد الدين صالح متحدثًا عن قانون الهوية وأن حقائق الأشياء ثابته لا تتغير: «إن كل شيء في الوجود له حقيقة ثابته، وذاتية محددة، لا تتغير[4]». ويشير القرآن الكريم إلى هذا القانون،

(1) صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ب(د. ت). كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ص259.

(2) محمد عبد اللطيف العبد، التفكير المنطقي، دار الثقافة العربية، القاهرة مصر، ط3، سنة 1997م، ص50.

(3) جون ديوي، المنطق نظرية بحث، تر: الدكتور/زكي نجيب محمود، دار المعارف القاهرة مصر، ط1، سنة1960م، ص545.

(4) سعد الدين صالح، قوانين الفكر بين الاعتقاد والأفكار، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، سنة1982م، ص12.

وذلك متمثلاً في قوله ﷻ : ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ (1).

وكما إن حقائق الأشياء ثابته لا تتغير، وإن هؤلاء السحرة مجرد تخيل لا حقيقة له؛ لأنه من غير المعقول أن ينقلب الجماد إلى أشياء حية على الحقيقة(2)، كما أن هذا القانون يسمى أيضًا بقانون العينية بمعنى كون الشيء عين نفسه.

2- **قانون عدم التناقض:** إن اجتماع النقيضين والتقاءهما في مكان واحد وزمان واحد يُعد من الأمور المستحيلة، وهذا القانون هو الذي يحطم بمقتضاه الفكر بحيث «إن الشيء لا يتصف بصفة ما ونقيضها في آنٍ واحد(3)».

وعليه فإن هذا القانون ليس إلا صورة من قانون الذاتية السابق، حيث إن «إثبات الفكر وتأكيده يقتضي تناسقه، وعدم تناقضه، فمن المستحيل إثبات شيء ونفيه في آنٍ واحد، ومن جهة واحدة»، والمقصود من هذا القانون ليس إلا أن العقل يحكم باستحالة التناقض، وهذا إنما هو راجع إلى قانون عدم التناقض، كما ينصّ هذا القانون على أنه لا يمكن اجتماع النقيضين أو التقاءهما في مكان وزمان واحد، باعتبارهما من الممتنعات العقلية، وهذا ما نصّ عليه قول الشيخ رحمة الله الهندي من أن: «اجتماع النقيضين الحقيقيين وارتفاعهما وكذا اجتماع الوحدة والكثرة الحقيقيتين في مادة شخصيه في زمان واحد من جهة واحدة، اجتماع الزوجية والفردية، واجتماع الأفراد المختلفة(4)»، ولقد نبه القرآن الكريم لهذا القانون في قوله ﷻ :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (5).

وعليه فإن العقل يحكم باستحالة اجتماع النقيضين في وقتٍ واحد، فالعمى والبصر نقيضان، متى وجد أحدهما انعدم الآخر، ومن الأمثلة على هذا القانون: «إن الحكم على محمد بالإنسانية وسلبها عنه، والحكم عليه بالحركة وعدمها كذلك محال؛ لأن العقل السليم يحكم بأنه متى ثبتت صفة لماهية وجب ألا يحكم

(1) سورة طه، الآية66.
(2) سعد صالح، قوانين الفكر، مرجع سابق، ص192.
(3) جون ديوي، المنطق نظرية بحث، مرجع سابق، ص50.
(4) الشيخ رحمة الله الهندي، إظهار الحق، تح/ ياسر أبو شادي، مجدي السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة مصر، ط1، سنة2006م، 50/3.
(5) سورة النساء، الآية، 82.

بنقيضها، ما دامت ثابته لها[1]»، وعليه فإن كل الأمور المستحيلة عقلاً ككون الجزء أكبر من الكل، وكون الشيء غير نفسه، فهذه أمور تحمل في نفسها سبب عدمها، فلا تقبل الوجود بنفسها، ولا بغيرها ومن ناحية أخرى أن النقيضين أمران أحدهما وجودي والآخر عدمي، وهما لا يجتمعان في الوقت نفسه، ولا يرتفعان، وهذا بدوره ينقلنا إلى القانون الثالث المرفوع، وهو قانون الامتناع.

3- **قانون الامتناع:** أو ما يعرف بقانون الثالث المرفوع، وهو : «الذي يحكم الفكر بمقتضاه بوجوب أن يتصف الشيء إما بصفة معينة أو بنقيضها، فالشيء الملون مثلاً: إما أن يكون أبيض أو لا أبيض، ولا ثالث لهذين الاحتمالين»(2)، وبذلك نجد أنه قد يتصف الشيء بصفة أو بنقيضها، والوسط هنا ممتنع أو مرفوع مثل: هذا الورق إما أبيض أو ليس بأبيض، فلا بد أن تنطبق إحدى هاتين الصفتين: أبيض أو ليس أبيض على الشيء المقصود، «فعيسى إما أن يكون إنسانًا، أو لا يكون، ولا ثالث بينهما، فلو صدق القول بأنه إنسان كذب القول، بأنه يمكن أن يكون إلهًا، أو أي شيء آخر»(3)، كما أشار القرآن إلى هذا القانون، في قوله ﷻ: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾ (4). وتدل إشارة القرآن هذه إلى أنه ليس هناك ثالث بين الحق والباطل، وأنه لا يمكن أن يشك ذو حسّ سليم في أن ما لم يكن باطلاً فهو حق، وما لم يكن حقًا فهو باطلٌ.

4- **قانون التعليل:** وهذا القانون يسمى أيضًا بقانون السببية حيث يعرفه الإمام الغزالي بقوله: «إن الشيء الساكن لا يتحرك إلا بمحرك يحركه، وأن المعدوم لا يوجد إلا بموجد يوجده، وإن تعطيل قانون السببية تعطيل لأحكام العقل ومبادئه»(5).

كما أن هذا القانون يُعد حكمًا من أحكام العقل الفطرية، التي يدركها الإنسان بالنظر، ولا ينصرف إليها الخطأ أبدًا و«لقد ركز في فطرة كل إنسان عاقل أن

(1) سعد الدين صالح، قوانين الفكر، مرجع سابق، ص16.
(2) جون ديوي، المنطق نظرية البحث، مرجع سابق، ص25.
(3) سعد الدين صالح، قوانين الفكر، مرجع سابق، ص21.
(4) سورة يونس، الآية32..
(5) الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، مرجع سابق، ص35.

كل متغير من جسم أو حال أو صفة لا بد من سبب تغيير به، ولا يخرج شيء عن هذا القانون بحال من الأحوال»(1).

ويمكن أن يسمى هذا القانون كما أسلفنا بقانون السببية، حيث يقول الدكتور عبدالله دراز عن هذا القانون: «أما قانون السببية فيقرر أن شيئًا من الممكنات لا يحدث بنفسه من غير شيء لأنه لا يحمل في طبيعته السبب الكافي لوجوده، ولا يستقبل بإحداث شيء؛ لأنه لا يستطيع أن يمنح غيره شيئًا لا يملكه هو، كما أن الصفر لا يمكن أن يتولد عنه عدد إيجابي، فلا بد له في وجوده وفي تأثيره من سبب خارجي، وهذا السبب الخارجي إن لم يكن موجودًا بنفسه احتاج إلى غيره، فلا مفر من الانتهاء إلى سبب ضروري الوجود يكون هو سبب الأسباب»(2).

ولقد جاء في كتاب ضوابط المعرفة أنه: «يحكم العقل باستحالة الدور والتسلسل، وهو توقف وجود شيء على وجود شيء على وجود نفسه، وباستحالة تسلسل الحوادث إلى ما لا نهاية له في الوجود الأول الماضي(3)»، وعليه فإن حكم العقل بمقتضى قانون التعليل (السببية) ينصّ على أن كل حادث لا بد له من محدث، وكل صنعة لابد لها من صانع، ولا يجوز أن تصنع الصنعة نفسها، ولا يحدث الحادث نفسه، فالعالم حادث لا بد له من محدث أحدثه، وأخرجه من حيز العدم إلى حيز الوجود، وإلا لأحدث الشيء نفسه؛ أي إنه وجد قبل أن يوجد، وأعطى ما يفتقده هو، وذلك في حد ذاته يُعد تناقضًا عقليًّا.

ونستنتج مما سبق أن صانع العالم يختلف عنه، وهذا يوصلنا بدوره إلى التسليم بأمور لا تخرج عن الحكم العقلي، حيث ينقسم الحكم العقلي إلى ثلاثة أقسام لا رابع لها وهي:

الواجب: وهو كل أمر من ذات لا يقبل الانتفاء في ذاته.

الجائز: وهو كل أمر قابل في حد ذاته للانتفاء والثبوت.

المستحيل: وهو كل أمر من ذات لا يقبل الثبوت في ذاته.

أي أن كل ما حكم به العقل من إثبات أو نفي لا يخرج عن اتصافه بواحدة من هذه الأحكام العقلية الثلاث، وعليه فإن هذه الأمور الثلاث يجب الاعتناء بها؛ لأن معرفتنا بها هي في حد ذاتها العقل.

---

(1) عبد الرحمن حبنكه، ضوابط المعرفة، مرجع سابق، ص329.
(2) عبد الله دراز، الدين، دار القلم، القاهرة مصر، ط3، سنة2010م، ص161.
(3) عبد الرحمن حبنكة، ضوابط المعرفة، ص330.

5- **قانون الغائية:** لقد جاء في كتاب التعريفات تعريفٌ للعلة الغائية بأنها: « ما يوجد الشيء لأجله»(1)، وهذا فيما يخصّ التعريف اللغوي.

أما المراد بالغائية كصفة فهي: «مبنية على السببية»(2)، والغائية اسم لكون الشيء ذا غاية وهي نوع من السببية، ومبدأ الغائية هو أن كل موجود فهو يفعل لغاية، وإن الغايات الجزئية في هذا العالم مرتبطة بغاية كلية، وهذا المبدأ هو الذي يُبنى عليه إثبات وجود الله جَلَّ جَلَالُهُ بالدليل الغائي.

والغائية هي: «مصطلح فلسفي معناه تعليل الشيء بالغاية التي يحققها»(3)، والغائية أيضاً هي: «كل ما يتجه عن قصد إلى هدف معين، ومنها الملاءمة بين الوسائل والغايات، وخضوع الأجزاء للكل»(4).

ولقد أشار القرآن الكريم، إلى هذا المبدأ حيث يقول عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ (5)، و﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ (6). وتدل هذه الآيات على أن هناك تناسقًا وتناغمًا، بين ظواهر الطبيعة، وهي تعمل على تحقيق غاية واحدة فكيف يتم هذا التدبير المحكم الذي يتفق مع حاجة كل موجود، وماذا لو لم يكن هناك خالق أعلى يقدر فيحسن التقدير، ويدبر فيحكم التدبير؟؟!!.

وعليه فإن هذا المبدأ يُعد سبيلاً يسير فيه العقل حتى يصل إلى أن كل ظاهرة من ظواهر هذا العالم هي جزء من مخطط عام، وضعه صانع حكيم، وعقل مدبر، وعن طريق هذا القانون يمكن للإنسان أن يؤمن بالله عَزَّ وَجَلَّ والملائكة عليهم السلام واليوم الآخر.

ثالثاً: أسس المنهج العقلي عند ابن حزم: إن المتأمل والناظر في مؤلفات ابن حزم يدرك تمامًا أن ابن حزم على إلمام كبير بشتى العلوم والمناهج والمذاهب الدينية والأخلاقية، مع قدر عظيم من الأمانة والدقة والموضوعية. وفي هذا البحث سنركز على المنهج العقلي وكيف استخدمه ابن حزم في مناقشته للعقائد

(1) الجرجاني، التعريفات، دار الفكر العربي، القاهرة مصر، ط1، سنة2005م، ص.112
(2) جميل صليبيا، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، 122/1.
(3) المرجع السابق، 124/1.
(4) الموسوعة العربية الميسرة، دار الجيل، بيروت لبنان، ط2، سنة2001م، 1688/2.
(5) سورة الفرقان، الآية، 2.
(6) سورة القمر، الآية، 49.

والأديان، حيث كان ابن حزم على دراية كبرى بالكثير من العقائد، وعليه فقد اتخذ من المنهج العقلي وسيلة لإظهار الحق الذي يُعد مطلبه الأساسي، وقد عبر لنا ابن حزم عن هذا المنهج بقوله: «لا بد لطالب الحقائق من أن يسمع حجة كل قائل، فإذا ظهر البرهان لزمه الانقياد والرجوع إليه، وإلا فهو فاسق، والبرهان لا يجوز أن يعارضه برهان آخر، فالحق لا يكون شيئين مختلفين، ولا يمكن ذلك أصلاً، والحق مبين في الملل بموجب العقل والبراهين الراجعة إلى الحسّ والضرورة»(1).

وعليه فإن ابن حزم ينتهج منهجًا عقليًا موضوعيًا في دراسته وأبحاثه، حيث يطبق هذا المنهج في دراسته للأديان، ويمضي محققاً ومقارناً فيظهر الحق واضحاً، ويندثر الباطل.

ولقد كان المنهج العقلي واضحًا عند ابن حزم، والذي كان يلتزمه في مجالاته، وكل بحوثه العقلية الخالصة التي لا يعتمد فيها على نصّ من القرآن أو السنة ولا أثر من آثار الصحابة والتابعين، بل كان: «يعتمد على العقل المجرد وإن هذا المنهج كان يتبعه عند مناقشته للخارجين على الإسلام كاليهود والنصارى وغيرهم من الفلاسفة، فقد يعتمد على العقل المجرد، ورد المقدمات مسلسلة إلى البدأة، وقد كان مع ذلك المنهاج العقلي المستقيم يعتمد على الإقحام، والإلزام ببيان التناقض في أقوالهم، والرد عليهم من كتبهم أو ما يقرره علماؤهم»(2).

ولقد ذكرنا فيما سبق الحدود والقوانين التي يعتمد عليها المنهج العقلي بشكل عام، ولكن ما هي الأسس التي يقوم عليها المنهج العقلي عند ابن حزم؟

إن ذلك المنهج الذي يلتزم به ابن حزم في مناقشته لأصحاب الملل والأديان والتي أوردها في كتابه الفصل، ورسالة التقريب لحد المنطق، تتمحور في الأسس التالية:

1- **الحواس:**

يؤكد ابن حزم على أن للحواس أهمية في تحصيل العلوم، ولأن الحواس الخمس في نظره «موصلاتٍ إلى النفس، مؤدية إليه وهذه الحواس بالنسبة إلى النفس كالأبواب والأزقة والمنافذ والطرق، ودليل ذلك إذا عرض لها عارض أو شغلها شاغل بطلت الحواس كلها مع كون الحواس سليمة» (3)، وكما هو معلوم

---

(1) ابن حزم، رسالة التخليص لوجوه التخليص، ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي، تح/ إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت لبنان، ط1، سنة1983م، ص114.

(2) محمد أبو زهرة، ابن حزم، ص137.

(3) ابن حزم، التقريب لحد المنطق، ضمن رسائل ابن حزم، تحقيق الدكتور إحسان عباس، ط1، المؤسسة

لدينا فإن الحواس قد تدرك الأشياء بنفسها، وقد تدركها بتوسط العقل: «كعلمها أن الرائحة الطيبة مقبولة من طبعها، والرائحة الرديئة منافرة لطبعها، وكعلمها أن الأحمر مخالف للأخضر والأصفر، وكالفرق بين الخشن والأملس، والحار والبارد، وكالفرق بين الحلو والحامض، والعذب والحريف، وكالفرق بين الصوت الحاد والغليظ، والرقيق والمطرب والمفزع»(1).

ويذكر لنا ابن حزم أن الحواس قد يدخلها الشك إذا ما دخلت عليها آفة أفسدتها، ومن هنا تكون معرضة للخطأ في الأحكام، ونصل بذلك إلى الآراء الفاسدة «كالآفة الداخلة على من به هيجان الصفراء، فيجد العسل مرًا، ومن في عينيه ابتداء نزول الماء فيرى خيالات لا حقيقة لها، وكسائر الآفات الداخلة على الحواس»(2)، وقد يكون سبب هذا الخطأ في حكم النفس اتصالها بالجسد لأن «إدراك النفس من قبل الحواس فيه للجسد شركة، والجسد كدرٌ ثقيل»(3).

وهنا يضرب لنا ابن حزم مثالًا يمثل به على كدر النفس بمشاركتها الجسد حيث يقول: «إنك ترى الإنسان من بعيد صغير الجرم جدًا كأنه صبيٌّ، وأنت لا تشك بعقلك أنه أكبر مما تراه، ثم لا يلبث أن يقترب فتراه على قدره الذي هو عليه، الذي لم يشك العقل قط أنه عليه، وإن الإنسان إذا كان منك على خمسة أميال أو نحوها رأيت شبحه ولم تستبن عينيه، ولا سمعت صوته أصلاً، حتى إذا قرب استبينت كل ذلك، وميزت لون عينيه، وسمعت كلامه، وأما حس الجسم كخردلة تزاد في حمل الإنسان يحسُ بها البتة حتى إذا كثر صب الخردل لم يلبث أن يعجز عن الاستقلال به ولو أنه صُب على ظهر فيل أو سفينة بحرية، والعقل يعلمك أن تلك الخردلة المصبوبة أولاً لها نصيب من الثقل ضرورة، إلا أن الحس قصر عن إدراكه لتأخر إدراك الحس عن إدراك العقل، وكنماء الأجسام من الحيوان والنبات فإنك لا تستبين نموه على أنه بين يديك، ونُصب عينيك حتى إذا مضت مدة رأيت النماء بعينيك ظاهراً، وعلمت نسبة زيادته على ما كان والعقل يشهد أن لكل ساعة مرت حظًا من نمو الشجر، لم تتبينه ببصرك»(4).

العربية للدراسات، بيروت، لبنان، سنة 1983م. ص157.

(1) ابن حزم، الفَصْل في الملل والأهواء والنحل، تح/ الدكتور أحمد السيد أحمد العلي، ط2، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، سنة 2003 ف. 16/1.

(2) المصدر السابق، 17/1.

(3) ابن حزم، التقريب لحد المنطق، ص312، وهنا يظهر لنا بوضوح أثر أفلاطون على ابن حزم.

(4) المصدر السابق، ص312-313.

وعليه نجد أن ابن حزم يفضل قوة إدراك العقل على إدراك الحواس، والسبب هو أن الحواس تقع في الخطأ، ومن هنا نجد ابن حزم يلجأ إلى العقل الذي يشارك الحواس في جميع مدركاتها وانفراده دونها بأشياء كثيرة(1)، وبما أن العقل يشارك الحواس في جميع مدركاتها، فما نصيب العقل عند ابن حزم؟.

2- **العقل:**

لقد أعطى ابن حزم "للعقل" في منهجه مكانة تقترب إلى مكانة "النقل"(2)، وهذه المكانة هي ذات المكانة التي وضعها له الإسلام بعيدًا عن الإفراط والتفريط، ونجد أن كتب ابن حزم حافلة بمنهجه العقلي، وبالأخص كتابه الفصل، والأصول والفروع، وكيفية استعمال العقل، والمتأمل في كتاب الفصل يجد فيه الكثير من القصص الدينية التي حكم ابن حزم فيها العقل قبل الحكم عليه بقبولها أو رفضها حيث نجده يقرر أن: «بعض الروايات في التوراة هي أقرب إلى الخرافات منها إلى شيء آخر»(3)، وبالإضافة إلى ذلك يُعد ابن حزم أن العقل «هو وحده المعيار الصحيح للتمييز بين الحق والباطل»(4)، وعليه فإذا كان العقل وحده هو المعيار الوحيد للتمييز بين ما هو صحيح، وما هو باطل فما هو حد العقل عنده؟

لقد اعتبر ابن حزم العقل قوة نفسية يرتبط بها أمران مهمان هما: **الأول** يتعلق بالتمييز والفهم والتعقل والإدراك، **والثاني** يتعلق بالفضيلة وجميع الطاعات، وللعقل المميز حدان هما:

الأول: تمييز المعطيات الحسية ووظيفته «تمييز الأشياء المدركة بالحواس وبالفهم، ومعرفة صفاتها التي هي عليها جارية، على ما هي عليه فقط»(5)، فالحياة الإنسانية مليئة بالمشاهدات والأحداث المستجدة، والمرتبة ترتيبًا دقيقًا في أنساق كعلل ومعلومات.

الثاني: يرتبط بالرسالات السماوية، والمرسلة إلى الرسل عليهم السلام ومعرفة الأحكام، والقيم الواردة في الدين، إذ إن القيم العليا، تُعد قيمًا خالدةً؛ لأن مصدرها خارج عن قدرة العقل الإنساني وحد العقل هنا هو: «معرفة صحة

---

(1) ابن حزم، التقريب لحد المنطق، 314-313.
(2) عبد الحليم عويس، ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، دار الزهراء، القاهرة مصر، ط2، سنة 2001 ف. 136.
(3) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنخل، 146/1.
(4) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، 32/1-33.
(5) المصدر السابق، 38/1.

الديانة، وصحة العمل الموصلين إلى الفوز في الآخرة، والسلامة الأبدية، وبه نعرف صحة العلم»(1)، كما أن معرفة العقل بالقيم ترجع إلى خاصة ذاتية فيه، ومن ثم فإنه يتفق مع القيم الدينية والأخلاقية، الواردة في التعاليم الدينية، وتعود هذه الخاصية إلى ما رتب عليه العقل من عدم التناقض والصدق أبدًا فيحلل القيم ويوصي بقبولها أو رفضها إذا كانت غير مقبولة، ولذلك يرى ابن حزم أن: «ما أوجبه العقل واجب، وما أحاله العقل فهو محال في العالم، ولا سبيل إليه»(2)، وعليه فإن الله عز وجل قد خص الإنسان بخاصية حرم منها غيره إلا الملائكة وهي "التمييز " فيجب على الإنسان أن يوظفها فيما يقربـــــه إلى الله جل جلاله، فالـــــعاقل إنما: «يغتبط بتقدمه في الفضيلة التي ميزه الله عز وجل بها عن السباع والبهائم والجمادات، وهي التمييز الذي يشارك فيه الملائكة»(3)، وبهذا الاستعداد الذي أودعه الله جل جلاله في النفس الإنسانية به تميز الخير عن الشر، والفضائل من الرذائل، وهو العقل، ويحده ابن حزم بقوله: «حد العقل استعمال الطاعات والفضائل، وهذا ينطوي فيه على اجتناب المعاصي والرذائل»(4)، كما أن العاقل: «لا يرى لنفسه ثمنًا إلا الجنة»(5)، وقد نصّ الله عز وجل حـــاكيًا على قوم بقوله: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (6)، ويصف ابن حزم العقل بقوله:

إنما العقل أساس *** فوقه الأخلاق ســـــور

فتحلّ العقل بالعلم *** وإلا فـــــهو بـــــور

جاهل الأشياء أعمى***لا يرى كيف يـــدور(7).

3- البديهيات أو الأوليات:

(1) ابن حزم، رسالة التقريب لحد المنطق، ص316-317.
(2) ابن حزم، الأصول والفروع، تحقيق الدكتور عاطف العراقي، إبراهيم هلال، سهير فضل الله أبو وافية، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، سنة 2004 ف.ص149.
(3) ابن حزم، رسالة مداواة النفوس، ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق الدكتور إحسان عباس ط2، ج1، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، لبنان، سنة 1987م، ص340.
(4) المصدر السابق، ص378.
(5) ابن حزم، رسالة مداواة النفوس، ص338.
(6) سورة الملك، الأيه10-11.
(7) ابن حزم، رسالة مداواة النفوس،.ص380.

إن البديهيات أو الأوليات هي تللك القضايا التي هي بديهية وضرورية، ولا تحتاج في معرفتها أو لإثباتها إلى أي برهان، وهي تُعد من الأمور التي يعرفها الإنسان بفطرته، وموجب خلقته المفضلة بالنطق الذي هو التمييز والتصرف، والفرق بين المشاهدات وهذه البديهيات يسميها ابن حزم" بعلم النفس" لأنها: «ضرورات أوقعها الله ﷻ في النفس، ولا سبيل إلى الاستدلال البته إلا من هذه المقدمات، ولا يصح شيء إلا بالرد عليها، فما شهدت له مقدمة من هذه المقدمات بالصحة فهو صحيح متيقن، وما لم تشهد له بالصحة فهو باطل ساقط»(1).

ويسمي ابن حزم هذه البديهيات أيضًا باسم: «الإدراك الحسي» لأنها تُعد: «من أوائل العقل التي لا يختلف فيها ذو عقل... ولا يشك في صحتها إلا من دخلت عليه آفة أفسدت تمييزه وبذلك لا يعتد بقوله.. فالذي يناقش ويجادل في معرفته أن الكل أكثر من الجزء وأن من يولد قبلك أكبر منك... وإن كون الجسم الواحد في مكانين مختلفين في وقت واحد مُحال، فيعلم أن بعقله آفة أفسدته؛ لأن الأمور البديهية أمور عرفها الإنسان بفطرته»(2)، وهذه البديهيات التي سماها ابن حزم "علم النفس" تُعد مقاييس عقلية «يتقيد بها في مجالاته... ولا يحاول الخروج عنها ويجذب خصمه في الجدال إليها، إن حاول أن يتقصى عنها أو الإفلات منها، ويعطيه من قارص القول القدر الذي يحمله على الجادة، أو يجعل تلك المقاييس أساس التشنيع عليه وتهجين قوله بالكتاب إن عز الخطاب معه»(3).

ويقرر ابن حزم أن الإنسان بمقتضى كونه إنسانًا عنده علمٌ بالبديهيات، ويذكر أن من هذه البديهيات: «علمها -أي النفس- بأن الجزء أقل من الكل، ويضرب لنا ابن حزم مثالاً على ذلك حيث إن الصبي الصغير في أوّل تمييزه إذا أعطيته تمرتين بكى، وإذا زدته ثالثة سُرَّ، وهذا علم منه بأن الكل أكبر من الجزء ... ومن ذلك علمه بأنه لا يجتمع المتضادان، فإنك إذا وقفته قسرًا بكى، ونازع إلى القعود علمًا منه بأنه لا يكون قائمًا قاعدًا معًا، ومن تلك علمه بألا يكون الجسم جسمًا واحدًا في مكانين، فإنه إذا أراد الذهاب إلى مكان ما فأمسكته قسرًا بكى، وقال كلامًا معناه: دعني أذهب، علمًا منه بأنه لا يكون الجسمان في مكان واحد فإنك تراه ينازع على المكان الذي يريد أن يقعد فيه، علماً منه بأنه لا

(1) ابن حزم، الفصل، 17/1.
(2) ابن حزم، الفصل، 17/1.
(3) محمد أبو زهرة، ابن حزم، مرجع سابق، ص131.

يسعه ذلك المكان مع ما فيه، فيدفع من في ذلك المكان الذي يريد أن يقعد فيه إذ يعلم أنه ما دام في المكان ما يشغله فإنه لا يسعه وهو فيه، وإذا قلت له ناولني ما في هذا الحائط وكان لا يدركه قال: لست أدركه، وهذا علمٌ منه بأن الطويل زائد على مقدار ما هو أقصر منه، وتراه يمشي إلى الشيء الذي يريد ليصل إليه، وهذا علمٌ منه بأن ذا النهاية يحصر ويقطع بالعدو، وإن لم يحسن العبارة بتحديد ما يدري من ذلك. ومنها: علمه بأنه لا يعلم الغيب أحد، وذلك أنك إذا سألته عن شيء لا يعرفه أنكر ذلك، وقال: لا أدري. ومنها: فرْقُه بين الحق والباطل فإنه إذا أخبر بخبر تجده في بعض الأوقات لا يصدقه حتى إذا تظاهر عنده بمخبر آخر وآخر صدقه وسكن إلى ذلك، ومنها: علمه بأنه لا يكون شيء إلا في زمان فإنك إذا ذكرت له أمرًا مّا قال: متى كان؟. وإذا قلت له: لم تفعل كذا وكذا؟ قال: متى كنت أفعله؟ وهذا علم منه بأنه لا يكون شيء مما في العالم إلاَّ في زمان، ويعرف أن للأشياء طبائع وماهية تقف عندها ولا تتجاوزها، فتراه إذا رأى شيئًا لا يعرفه قال: أي شيء هذا؟! حتى إذا شرح له سكت. ومنها: علمه بأنه لا يكون فعل إلاَّ من فاعل، فإذا رأى شيئًا قال: من عمل هذا؟ ولا يقنع البتة بأنه انعمل بدون عامل. وإذا رأى بيد آخر شيئًا قال: من أعطاك هذا؟ ومنها: معرفته بأن الخبر صدقًا أو كذبًا، فتراه يكذِّب بعض ما يُخبر به، ويصدِّق بعضه، ويتوقف بعضه. هذا كلّه مشاهد من جميع الناس في مبدأ نشأتهم»(1).

إن هذه البديهيات أو كما يسميها ابن حزم "المقدمات الصحاح" تُعد ميزانًا لضبط الفكر العقلي، وهي لا تقبل الشك، وهي من أوائل العقل التي لا يختلف فيها من لديه عقل، وهي كما قلنا ميزان ضبط الفكر، حيث لا يصح شيء إلا بالرد إلى هذه المقدمات، ولا يتم الاستدلال على أي شيء إلا بهذه المقدمات، فما شهدت له مقدمة من المقدمات بالصحة، فهو صحيح متيقن، وما لم تشهد له بالصحة فهو باطل.

وعليه يقرر ابن حزم أن خطأ الفكر، واختلاف العلماء حول المدارك العقلية ليس السبب تلك المقدمات الصحاح، وإنما ينشأ الخطأ بسببين هما:

أولاً: إن تلك المقدمات قد تطول وتكبر حتى يصعب ردها إلى هذه البديهيات، ومثال ذلك عمليات الحساب فإنه كلما زادت أعداده دخلها الشك والخطأ، واختلفت، وكلما قلت أعداده كانت بعيدة عن الخطأ والظن، وبذلك تتفق النتائج وتظل الآراء صحيحة.

---

(1) ابن حزم، الفصل، مصدر سابق، 1/16-17، وكذلك: رسالة التقريب لحد المنطق، ص285.

ثانياً: هناك جانب آخر لوقوع الخطأ غير البعد عن البديهيات وهو فساد الفكر وضلاله في ربط سلسلة المقدمات بما يتصل بها من البديهيات، ويكون ذلك الضلال بسبب آفة دخلت على العقل وأوقعته في الخطأ، وجعلته يضل عن الوصول إلى هذه البديهيات، وأحيانًا تجعله ينكر هذه المقدمات... يقول ابن حزم في ذلك:

«لا يشك ذو تمييز صحيح في أن هذه الأشياء "أي البديهيات" كلها صحاح، ولا امتراء فيها، وإنما يشك فيها بعد صحة علمه بها من دخلت على تمييزه آفة كالآفة الداخلة على من به هيجان الصفراء فيجد العسل مرًا، ومن في عينه ابتداء نزول الماء فيرى خيالات لا حقيقة لها وكسائر الآفات الداخلة على الحواس»(1).

فهو يرى أن الخطأ في الآراء من ذات العقل «لآفة اعترته أو لضعف طبيعي فيه فلم يستطع أن يرد الأمور إلى أصولها، أو لجمود عند فكرة معينة» (2).

وعلى ذلك يكون من الواجب على طالب الحقيقة ألا يدخل في أمور أكبر من قدرته العقلية، حتى لا يضل، ويكون إدراكه مستقيمًا، وعليه أن ينظر إلى القضايا نظرة بعيدة عن التحيز والانحراف، وهذه النظرة تؤدي إلى الانحراف، وهذه النظرة تؤدي إلى الحق مباشرةً بعكس النظرة المتحيزة التي تؤدي إلى الانحراف والاعوجاج في الآراء.

4- **الخبر المتواتر:**

يُعد الخبر المتواتر عند ابن حزم من الأسس العقلية التي لا يجوز «أن يُطلب على صحتها دليل، ولا يكلف ذلك غيره إلا عديم عقل ووافر جهل»(3)، وعليه فإن الخبر المتواتر من طرق المعرفة والعلم، إذ لولا الخبر المتواتر ما عرفنا أن هناك بلدانًا، وهناك رُسلًا وملوكًا وعلماء، وكل هذه الأمور علمناها عن طريق الخبر المتواتر.

وبناءً على ذلك يبين لنا ابن حزم أن التواتر يوجب العلم بالضرورة، والطبيعة بل: «إن الضرورة والطبيعة توجبان قوله، إذ به عرفنا ما لم نشاهده من البلدان، ومن كان قبلنا من الأنبياء عليهم السلام والعلماء والفلاسفة، والملوك والوقائع، والتواليف، ومن أنكر ذلك كان بمنزلة من أنكر ما يدرك بالحواس،

(1) المصدر سابق ، 17/1.
(2) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، 38/1.
(3) ابن حزم، التقريب لحد المنطق، ص287.

ولا فرق، ولزمه أن يصدق بأنه كان قبله زمان، ولا أن أباه وأمه كانا قبله، ولا أنه مولود من امرأة»(1).

ونستنتج من ذلك أن ابن حزم يُعد الخبر المتواتر من الأمور البديهية التي لا يختلف فيها اثنان، وأن أكثر المعلومات الضرورية التي تسكن في نفس الإنسان مبناها خبر التواتر كعلم الإنسان بأبيه وأمه، والزمان الذي كان قبله، وما كان فيه من أشخاص وأشياء وأعمال، لا سبيل إلى علم شيء من ذلك إلا بالتواتر، فمن لم يؤمن بما جاء متواترًا فقد أسقط السبب الأكبر من معلوماته الأولية، وعليه فقد اختلف العلماء في مقدار العدد الذي يتحقق به الخبر المتواتر، ومن ثم يراودنا سؤال مهم هنا ألا وهو: ما هو حد التواتر عند ابن حزم؟

يذكر لنا ابن حزم من أقوال العلماء حول حد التواتر، ثم يذكر قوله في حد التواتر، فيقول: «قد اختلف الناس في مقدار عدد النقلة للخبر المتواتر، فطائفة قالت: لا يُقبل إلا من جميع أهل المشرق والمغرب، وقالت أخرى: لا يُقبل إلا من عددٍ لا نُحصيه نحن، وقالت طائفة أخرى: لا يُقبل أقل من ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً وهو عدد أهل بدر، وقالت طائفة: لا يقبل إلا من سبعين، وقالت طائفة: لا يُقبل إلا من خمسين عدد القسامة(*)، وقالت طائفة: لا يُقبل إلا من أربعين لأنه العدد الذي لما بلغه المسلمون أظهروا الدين، وقالت طائفة: لا يُقبل إلا من خمسة وقالت طائفة: لا يُقبل إلا من أربعة، وقالت طائفة: لا يُقبل إلا من ثلاثة، لقول رسول الله ﷺ **"حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجي من قومه، أنه قد نزل به جائحة(*)"**(2)، وقالت طائفة: لا يُقبل إلا من اثنين، وبعد أن ذكر لنا ابن حزم هذه الأقوال مجتمعة والتي بدورها تدل على إحصائه لأقوال العلماء، وعلى أنه واسع الاطلاع، وأنه عندما يصدر حكمًا يصدره عن علمٍ وبينة، يأخذ ابن حزم في إبطال هذه الآراء جميعًا؛ لأنها بغير دليل فيقول: «وهذه كلها أقوالٌ باطلة بلا برهان»(3)، حتى يصل إلى الرأي المناسب الذي يتماشى مع خبر التواتر،

(1) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، مصدر سابق،117/1.

(*) القسامة: في اللغة هي: اليمين، وشرعًا هي الأيمان المتكررة في دعوى القتيل، وهي خمسون يمينًا من خمسين رجلاً. راجع في ذلك/ ابن منظور، في لسان العرب، 481/12-482.

(*) الجائحة: هي الشدة المجتاحة للمال. وهي الآفة التي تهلك الثمار والفواكه والأموال والأرزاق وتستأصلها، وهي أيضًا كل مصيبة عظيمة. راجع في ذلك/ شرح السيوطي على سنن النسائي، للحافظ جلال الدين السيوطي، دار الثرات العربي، لبنان، بيروت، ط1، (د.ت)، 9/8،2.

(2) أخرجه النسائي، تحقيق/ عبد الغفار البنداري، والسيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، سنة1991م، 47/2-48.

(3) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، مصدر سابق، 117/1-118.

ولنترك الكلمة هنا لابن حزم ليوضح لنا فكرته عن الخبر المتواتر، فيقول: "فإن سألنا سائل فقال: ما حد الخبر الذي يوجب الضرورة؟"

«فالجواب وبالله ﷻ التوفيق أننا نقول: إن الواحد من غير الأنبياء عليهم السلام المعصومين بالبراهين، قد يجوز عليه تعمد الكذب يعلم ذلك بضرورة الحس، وقد يجوز على جماعة كثيرة أن يتواطؤوا على كذبه إذا اجتمعوا، ورغبوا أو رهبوا، ولكن ذلك لا يخفى من قبلهم، بل يعلم اتفاقهم على ذلك الكذب بخبرهم إذا تفرقوا، لابد من ذلك، ولكنا نقول: إذا جاء اثنان فأكثر من ذلك، وقد تيقنا أنهما لم يلتقيا ولا دسسا، ولا كانت لهما رغبة فيما أخبرته، ولا رهبة منه، ولم يعلم أحدهما بالآخر، فحدث كل واحد منهما مفترقًا عن صاحبه بحديث طويل لا يمكن أن يتفق خاطر اثنين على توليد مثله، وذكر كل واحد منهما مشاهدة أو لقاء لجماعة شاهدت أو أخبرت عن مثلها بأنها شاهدت فهو خبرُ صدق، يضطر بلا شك من سمعه إلى تصديقه ويقطع على غيبه.

وهذا الذي قلنا يعلمه حسًا من تدبره، ورعاه فيما يرده كل يوم من أخبار زمانه من موت، أو ولادة، أو نكاح أو عزل، أو ولاية أو واقعة، وغير ذلك، وإنما خفى عليه لقلة مراعاته يمر به ولو أنك تكلف إنساناً واحداً اخترع حديثًا في بيتين لا يلتقيان، وكلفت كل واحد منهما توليد حديث كاذب لما جاز بوجه من الوجوه أن يتفقا فيه من أوله إلى آخره»(1).

ويتبين من خلال هذا النصّ أن العبرة في خبر التواتر هي الاحتياط لمنع التواطؤ على الكذب، وأن ابن حزم لا يهتم بالعدد في الخبر المتواتر، وفي رأيه أن الخبر الذي يرويه اثنان لم يلتقيا هو خبر متواتر وقد يقع الخطأ في العدد الكبير من الرواة إذا تلاقوا، واتفقوا على خبر معين تحت تأثير رغبةٍ دفعتهم إلى ذلك الاختلاف، أو رهبة حملتهم إلى التواطؤ على الكذب.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن معنى التواتر متفق مع منهج ابن حزم العقلي تمام الاتفاق، ومتفق مع البديهيات التي سماها ابن حزم الإدراك السادس، ولكن هل يتصور العلم الضروري الذي هو غاية التواتر من شخص واحد؟

يجيبنا ابن حزم على ذلك السؤال بالإيجاب فيقول: إنه قد يثبت العلم الضروري بخبر الواحد، ولكن ذلك لا يطرد، وعلى ذلك فالعلم الضروري الذي هو علم التواتر لا يثبت إلا مع التعدد، ولذلك يقول ابن حزم: «وقد يضطر خبر الواحد إلى العلم بصحته إلا أن اضطراره ليس بمطرد ولا في وقت ولكن على

(1) المصدر السابق، 1/117-118.

قدر ما يتهيأ»(1)، ومن أمثلة الخبر المتواتر معرفتنا بأن: «الفيل موجود ولم نره، وأن مصر ومكة في الدنيا، وأنه قد كان موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام وقد كان أرسطو طاليس وجالينوس موجودين، وكواقعة صفّين والجمل...، وكالأخبار تتظاهر عندنا كل يوم مما لا يجد المرء للشك فيه مساغًا أصلاً»(2).

5- **التجربة والاستقراء:**

وهنا تُعد القضايا التجريبية والاستقرائية قضايا يقينية، ويقينها نابع من مصدر أساسي، وهو أن هذه السنن الكونية الثابتة في النفوس والتي خلقها الله ﷻ لا تتغير إلا بإرادته، ولقد كان ابن حزم يعتمد على الاستقراء في دراساته، بالإضافة إلى ذلك فإن السنن التي سنها الله ﷻ والطبائع التي خلقها في هذا الكون لا تتغير، وإن في هذا الكون قوانين وأنظمة لا تتغير إلا بإرادة الله ﷻ ولأجل معين، ولا يغير الله ﷻ في هذه الأنظمة والقوانين إلا لإثبات نبوة، فهو المريد، المختار، الفعال لما يريد القاهر فوق عباده، القادر على كل شيء العليم الحكيم.

وعليه فإن: «كل الطبائع والعادات مخلوقة خلقها الله ﷷ، فرتّب الطبيعة على أنها لا تستحيل أبدًا، ولا يمكن تبدلّها عند كلِّ ذي عقل كطبيعة الإنسان بأن يكون له التصرف في العلوم والصناعات، إن لم تعترضه آفة، وطبيعة الحمر والبغال بأن ذلك غير ممكن منها، وكطبيعة الُبرّ ألا ينبت شعيرًا ولا جوزًا، وهكذا في كل ما في العالم، والقوم مقرون بالصفات، وهي الطبيعة نفسها؛ لأن من الصفات المحولّة في الموصوف ما هو ذاتي لا يُتوهم زواله إلا بفساد حامله، وسقوط الاسم عنه كصفات الخمر التي إن زالت عنها صارت خلاً، وبطل اسم الخمر عنها...، وهكذا كل شيء له صفة ذاتية فهذه هي طبيعته»(3).

وبعد أن عرفنا أسس المنهج العقلي عند ابن حزم نذكر أيضًا هنا المجالات التي استخدم فيها ابن حزم المنهج العقلي.

---

(1) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، مصدر سابق، 121/1. وكذلك: محمد أبو زهرة، ابن حزم، مرجع سابق، ص262.

(2) ابن حزم، التقريب لحد المنطق، مصدر سابق، ص286.

(3) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مصدر سابق، 186/1.

رابعًا: ابن حزم واستخدامه للمنهج العقلي في الرد على أهل الكتاب من خلال كتابه الفصل:

لقد اعتمد ابن حزم على هذا المنهج في مناقشته مع أهل الكتاب وغيرهم، ويناقش نصوص التوراة والإنجيل معتمدًا في ذلك على الأوليات العقلية، والمقدمات البديهية، فيسرد الآية أو القصة ثم يفندها، ويُظهر ما فيها من تناقض أو استحالة، بالإضافة إلى ذلك فقد بين ابن حزم أن هذه الخوارق لا تقع من غير نبي، ولا حجة للنبي بدونها، وقرر أيضًا أنه لا معجزة لنبي بعد سيد الخلق محمد ﷺ ولا كرامة لأحد ولا خوارق لنبيٍ بعد وفاته.

لقد دافع ابن حزم عن الإسلام فيما هوجم به من قبل اليهود والنصارى فرد افتراءاتهم، وكشف اللثام عما يدسون من آراء، وقد سلك في مناقشة هذه الأديان والآراء مسلك العقل، فهو يستخدم العقل في مناقشة من يؤمن بالعقل، ويستخدم النقل مع من يؤمن بالنقل، ولا يستدل بالنقل مع قوم يؤمنون بالعقل، وكذلك لا يستدل بالعقل مع قوم يؤمنون بالنقل، ويستخدم العقل والنقل في المواقف التي تتطلب الحجج العقلية والنقلية.

إن ابن حزم استخدم المنهج العقلي أثناء مناقشته للدهر بين أصحاب تكافؤ الأدلة، ومنكري النبوات، وناقش كذلك السُفسطائيين الذين ينكرون حقائق الأشياء، فقد اعتمد على بديهيات العقل وشواهد الحس التي لا تخون البتة، ولا يختلف الناس حولها، حيث رد عليهم باستخدام المنهج العقلي، كما استخدم منهجه العقلي في الرد على الفلاسفة والملحدين، حيث نجده يعتمد على العقل المجرد في الرد على المقدمات التي يأتون بها، وهؤلاء الفلاسفة لا يؤمنون بدين، ولا يعتقدون في الخالق.

وفي مناقشته للخارجين عن الإسلام ـ كاليهود والنصارى الذين لا يؤمنون بعقائد الإسلام، ولا يؤمنون بالكتاب والسّنة المحمدية- استخدم منهجه العقلي، ورد المقدمات مسلسلة إلى البداءة التي تقرها عقولهم المستقيمة، ويراها الطريقة القويمة لإدراك الحقائق وفهمها، وقد كان مع ذلك المنهاج العقلي معتمداً على الإقحام والإلزام ببيان التناقض في أقوالهم، والرد عليهم من خلال كتبهم أو ما يقره علماؤهم.

لقد استخدم ابن حزم منهجه العقلي أثناء مناقشته للفرق الإسلامية، وبخاصة الذين يستدلون بالعقل ويعتمدون عليه في إثبات معتقداتهم، خصوصًا فرقة المعتزلة الذين يذهبون إلى درجة تقديس العقل، حيث كان ابن حزم يبطل حجج

هذه الفرقة عن طريق العقل، ما دامت تتخذ الطريق ذاته "أي العقل" في جدالهم فحاربها بالسلاح نفسه وهو العقل.

وعليه فقد اعتمد ابن حزم على منهجه العقلي في إثبات عقائد الأديان الوحدانية، وفي إثبات أصول العقائد الإسلامية، حيث اعتمد على هذا المنهج الاعتماد الكامل في إثبات ذلك، واستخدمه ايضًا في تقرير أصل الوحدانية، واثباتها بالحجة العقلية، وفي إثبات أصل النبوة، ودلالة المعجزات التي أوردها في كتابه الفَصْل منها على سبيل المثال لا الحصر:

عندما تواجه ابن حزم مسألة لا يوجد فيها نصٌّ نجده يحكم عقله في تلك المسألة، فمثلًا عند مناقشته للتوراة التي تتحدث عن سيدنا لوط عليه السلام حيث زعمت أنه: « زنى بابنتيه بعد أن شرب وسَكِرَ، وحملت ابنتا لوط من أبيهما، وولدت له الكبرى ابناً وسمته "مؤاب" وهو أبو المؤابين وولدت له الصغرى ابنًا وسمته "عمون" وهو أبو العموييين إلى اليوم»(1).

فنجد ابن حزم يستنكر هذه القصة في التوراة، ويَعدُّها عارية من الصحة، ومن فضائح التوراة التي لا تصدق، ويقول: « هذه ليست من صفات الأنبياء عليهم السلام ولا من كرامتهم، ولا من فيه شيء من الخير»(2).

ومن الأمثلة على المنهج العقلي عند ابن حزم أيضًا: « أثناء مناقشته للمعجزات النبوية يذكر ما جاء في التوراة من أن سحرة فرعون استطاعوا أن يحولوا ماء النهر إلى دم، وقلب العصا حية، والمجيء بالضفادع من النهر لدرجة أنها غطت أرض مصر»(3)، وغير ذلك كثير من الخوارق التي لا يفعلها إلا الرسل عليهم السلام بتأييد من الله ﷻ ولإثبات نبوتهم، وهنا يعقب ابن حزم على هذه الخرافة إن صح التعبير، ويرد عليهم بناءً على ما جاء به القرآن الكريم في سورة الأعراف عن سيدنا موسى عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ

(1) ابن حزم، الفصل، 159/1، وراجع في ذلك: السموأل المغربي، بذل المجهود في إفحام اليهود ، ت/عبد الوهاب طويلة، دار القلم ، دمشق، سوريا، ط1، سنة1989م، ص169.

(2) ابن حزم، الفصل، 161/1.

(3) المصدر السابق، 180/1.

وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ۝١١٦ * وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ۝١١٧ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١١٨ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ۝١١٩ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ (1).

وهذا هو الحق الذي جاء في كتاب الله ﷻ « وتشهد به العقول لا في الكتاب المبدّل المحرّف فصحّح أن فعل السحرة حيلة مموهة لا حقيقة لها، وهذا الذي يصححه البرهان إذ لا يُحيل الطبائع إلا خالقها ﷻ شهادةً لرسله وأنبيائه عليهم السلام، وفرقًا بين الصدق والكذب»(2).

وبناءً على ذلك يقرر ابن حزم أن هذا العالم يسير وفق نظام محكم دقيق، وأن هذا النظام ثابت لا يتغير، وإذا تغير فإن الله ﷻ هو الذي غيّره، لأجل معين، حيث: «قد صح للأنبياء عليهم السلام شواهد لهم على صحة نبوتهم، وجد ذلك بالمشاهدة ممن شاهدهم، ونقل إلى ما لم يشاهدهم بالتواتر الموجب للعلم الضروري، فوجب الإقرار بذلك، وبقى - ما عدا أمر الأنبياء عليهم السلام- على الامتناع، فلا يجوز البتة وجود ذلك إلا من ساحر، ولا من صالح بوجه من الوجوه؛ لأنه لم يقم برهان بوجود ذلك، ولا صح قط به نقل، وهو ممتنع في العقل، ولو كان ذلك ممكنًا لاستوى الممتنع والممكن والواجب، وبطلت الحقائق كلها، وأمكن كل ممتنع»(3).

ومن ثم يرى ابن حزم أن هذا العالم لا يتغير إلا بإرادة الله ﷻ ولأجل النبوة وإثباتها، وأُثبت ذلك لمن شاهده، وبالتواتر لمن لم يشاهده.

وبناءً على ذلك فإن الناظر والمطالع في مجالات استخدام ابن حزم للمنهج العقلي يدرك تمام الإدراك أن الإمام ابن حزم كان على دراية واسعة بشتى الأديان والملل والنحل، وكذلك إلمامه بالكثير من العقائد والمذاهب حيث يقول: «الحق مبين في الملل والنحل، بموجب العقل والبراهين الراجعة إلى أول الحس والضرورة»(4)، ومن خلال ما سبق نستنتج أن ابن حزم كان رائدًا في المنهج

---

(1) سورة الأعراف، الآية 113-120.
(2) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 181/1.
(3) ابن حزم، مصدر سابق، 171/3.
(4) ابن حزم، رسالتان أجاب فيهما عن سؤال تعنيف، ضمن رسائل ابن حزم، تحقيق الدكتور إحسان عباس المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1983م. ص97.

العقلي، حيث كان يحكم عقله في كل المناقشات مع أصحاب الملل والنحل والأهواء.

الخاتمة: من خلال هذا البحث الذي يقوم على دراسة وتحليل الموضوع الذي نحن بصدده وفي هذه الخاتمة أود التأكيد على جملة من النتائج وهي:

6- كشفتْ الدراسة على أن المنهج العقلي من أهم الوسائل التي يتم بها إحقاق الحق وإزهاق الباطل حيث يسير المنهج الجدلي وفق قواعد وأسس وضوابط معرفية تؤكد جدية الحوار بين الطرفين، وقد شرحها ابن حزم باعتباره من أبرز علماء الجدل والمناظرة.

7- كما أثبت البحث أن أهم كتب ابن حزم التي توضح منهجه العقلي كتاب الفصْل في المِلل والأهواءِ والنِحل، وأن أهم القضايا التي عالجها المنهج العقلي هي تبديل اليهود والنصارى لكتبهم وعقائدهم، ووصفهم للأنبياء والرسل عليهم السلام بما لا يجوز في حقهم.

8- بروز الإمام ابن حزم ودوره الكبير في الدفاع عن الدين والعقيدة الإسلامية، وفي الدعوة إليها كما أسهمت موسوعية ابن حزم وثقافته في إثراء المكتبة العربية الإسلامية .

9- اعتمد ابن حزم في تأسيس منهجه الفكري على السمات العقلية والظاهرية، والأصول الكلامية والمعرفية التي بنى على ضوئها منهجه العقلي.

- **التوصيات:** لا يمكننا إغفال دور ابن حزم في تراثنا الإسلامي المعاصر من خلال جهوده في بناء وتأسيس المنهج العقلي الهادف لمخاطبة الناس وتعريفهم بأمور دينهم ودنياهم وبالأخص أصحاب الديانات المختلفة، وما يتعرض له الإسلام اليوم من تحديات تدعو إلى التأكيد على أهمية منهج ابن حزم في الدعوة والدفاع عن الدين ونصرة العقيدة.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن وكتب السنة:

- سنن أبي داود، تحقيق/عزت عبيد وعادل السيد، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، سنة1997م.

- النسائي، تحقيق/ عبد الغفار البنداري، والسيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، سنة1991م، 47/2-48.
- صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ب(د. ت). كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة،

- ابن حزم:

1- الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق الدكتور محمد حامد عثمان، ط1، دار الحديث، القاهرة، مصر، سنة2005 ف.
2- ابن حزم، الأصول والفروع، تحقيق الدكتور عاطف العراقي، إبراهيم هلال، سهير فضل الله أبو وافية، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، سنة 2004 ف.
3- الفَصْل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق الدكتور أحمد السيد أحمد العلي، ط2، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، سنة 2003 ف.
4- رسالة التخليص لوجوه التخليص، ضمن رسائل ابن حزم، تحقيق الدكتور إحسان عباس، ط1، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1983م. ص114.
5- رسالة التقريب لحد المنطق، ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، ط1، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، لبنان، سنة 1983م.
6- ابن حزم، رسالتان أجاب فيها عن سؤال تعنيف، ضمن رسائل ابن حزم، تحقيق الدكتور إحسان عباس المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1983م.
7- رسالة الرد على ابن النغريلة اليهودي، ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، ط2، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، لبنان، سنة 1987 م.
8- ابن حزم، رسالة مداواة النفوس، ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق الدكتور إحسان عباس ط2، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، لبنان، سنة 1987م.
9- ابن منظور، لسان العرب، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، سنة 1992ف.
10- الجرجاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، مكتبة لبنات، ط1، سنة 1969م.

11- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1994م.
12- جون ديوي، المنطق نظرية بحث، تر: الدكتور/زكي نجيب محمود، دار المعارف القاهرة مصر، ط1، سنة1960م.
13- الحافظ جلال الدين السيوطي، شرح السيوطي على سنن النسائي، ، دار الثرات العربي، لبنان، بيروت، ط1، (د.ت).
14- الرازي، مختار الصحاح، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، سنة1990م.
15- سعد الدين صالح، قوانين الفكر بين الاعتقاد والأفكار، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، سنة1982م.
16- السموأل المغربي، بذل المجهود في إفحام اليهود ، ت/عبد الوهاب طويلة، دار القلم دمشق، سوريا، ط1، سنة1989م.
17- الشيخ رحمة الله الهندي، إظهار الحق، تح/ ياسر أبو شادي، مجدي السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة مصر، ط1، سنة2006م.
18- الطاهر الزاوي، مختار القاموس، دار الحديث، بيروت لبنان، ط1، سنة2000م.
19- عباس القعاد، التفكير فريضة إسلامية، دار نهضة مصر، القاهرة، ط1، سنة 2001م.
20- عبد الله دراز، الدين، دار القلم، القاهرة مصر، ط3، سنة2010م، ص161.
21- عبد الحليم عويس، ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، الزهراء للأعلام العربي، القاهرة مصر، ط2، سنة 2001 ف.
22- عبد الرحمن حسن حبنكة، ضوابط المعرفة، ط4، دار القلم، بيروت، لبنان، سنة2003م.
23- الغزالي، إحياء علوم الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة2001ف.
24- الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، دار قتيبة، بيروت لبنان، ط1، سنة2003م.
25- فخر الدين الرازي، النبوة وما يتعلق بها، ت/ أحمد حجازي السقا، دار ابن زيدون، بيروت لبنان، ط1، سنة1986م.
26- مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، تصدير إبراهيم مذكور، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط1، سنة 1979م.

27- محمد أبو زهرة، ابن حزم، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، سنة2004م.
28- محمد الصادق عرجون، القرآن العظيم هداية وإعجاز، دار مكتبة الكليات الجامعية، ط1، القاهرة مصر، سنة1996م.
29- محمد عبد اللطيف العبد، التفكير المنطقي، دار الثقافة العربية، القاهرة مصر، ط3، سنة 1997م.
30- محمد مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ط1، دار البحر المتوسط بيروت، لبنان، سنة 1983م.
31- الموسوعة العربية الميسرة، دار الجيل، بيروت لبنان، ط2، سنة2001م.